اللغة العربية ونقل التقنية بين التقليد والأصالة

حبيب مصطفى زين العابدين
وزارة الأشغال العامة - الرياض - المملكة العربية السعودية

المستخلص : لقد ظلت الشعوب العربية خلال القرن الماضي تحاول جاهدة تنمية قاعدتها التقنية والصناعية وتطورها كي تلحق بركب الدول المتطورة وفعلت مثلها شعوب ودول أخرى نجحت بعضها نجاحاً باهراً « اليابان ، إسرائيل ، الصين .. وغيرها » وظلت دول أخرى مثل الدول العربية لم تتطور فيها القاعدة الصناعية والتقنية كما ينبغي ... معظم هذه الشعوب الأخيرة لم تكن لغتها هي أساس التعامل مع التقنيات والعلوم الحديثة « ومعظم الدول التي نجحت بل كلها هي التي جعلت من لغتها الأم لغة العلوم والتقنيات فكسرت بذلك الحاجز المنيع بينها وبين تطوير قاعدتها التقنية والصناعية » ، ومن هذا المنطلق فإن تطوير القاعدة التقنية والصناعية بالمملكة يستلزم الجد في تعريب العلوم ذات العلاقة بالتقنية والسعي الحثيث لتدريسها باللغة العربية وجعل هذه اللغة هي لغة التعامل مع هذه التقنيات .

يحاول المؤلف في هذه الورقة التطرق بشكل موجز إلى الأمور التالية :
أهمية التعريب ونقل التقنيات الحديثة والعلوم الهندسية المتطورة إلى اللغة العربية ، معوقات التعريب ، إلقاء الضوء على تجارب بعض الدول العربية وغير العربية ، الخطة القومية للترجمة التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ومن ذلك يأمل المؤلف أن يصل إلى تصور مبدئي عملي لدى إمكانية تعريب التعليم ونقل التقنيات إلى اللغة العربية بشكل يكون فيه الدور الريادي للمملكة ودول الخليج عن طريق إنشاء مؤسسة للتعريب على مستوى دول الخليج ، تساعد على تذليل معوقات التعريب وتطور خطة مقترحة للتعريب على مستوى المملكة ودول الخليج .

١ - معنى ومفهوم التعريب

جاء في معنى التعريب في لسان العرب : وأعرب الكلام ، وأعرب به : بيّنه ، وعربه : كأعربه ، وأعرب بحجته أي أفصح بها ... التعريب التبيين والإيضاح ، وهذا يعطي ظلالاً على أن التعريب إفصاح وبيان وإيضاح عن شيء مبهم أو غير واضح أو غير بيّن ، وعربه : علمه العربية ، وتعريب الإسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عربته العرب ، وأعربته أيضاً ، وعرب لسانه ، بالضم ، عروبة أي صار عربياً .

ومما جاء في تحديد مفهوم التعريب [١] « للتعريب مفاهيم وجوانب فنية واجتماعية وقومية وسياسية ، .فقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة ، وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى « قضية عربية أجنبية » .

وقد يعني التعريب دعم الوجود والكيان العربي ، والوحدة القومية بمعنى التصدي لقضايا شمولية ... مثل استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه ، على المستوى الجغرافي والقطاعي ، وبخاصة في التعليم والبحوث والإدارة ، وقد يعني التعريب في مثل هذه الحالة تعريب مؤسسات تربوية كتعريب مناهج التعليم العام في بعض البلاد العربية ، أو تعريب مناهج التعليم الجامعي والعالي ومراكز البحوث العربية في كل البلاد العربية ، وقد يعني التعريب توحيد المصطلح العربي والإتفاق على مصطلح واحد لكل مفهوم ، بحيث تكون هناك مصطلحات موحدة ، معتمدة وممارسة على امتداد الوطن العربي .

والتعريب في مفهومه ومعناه الشامل يتضمن كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعات الاقتصادية والتكنولوجية

نقلت جملة كبيرة من علوم الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكمياء والطبيعة فأتاح هذا النقل مجالاً لمصطلحات علمية كثيرة دخلت العربية واندمجت فيها .

لا يزال التعليم بسوريا في مراحلة المختلفة باللغة العربية وقد قام عدد من الباحثين ببيان سلبيات وإيجابيات التعليم باللغة العربية في سوريا مثل [١٠-١٢] ولعل أهمها من الناحية الإيجابية أن مستوى الفهم والاستيعاب وتأصيل العلم عند الطلبة أفضل بكثير من طلبة تلك الدول العربية التي تدرس بلغة غير عربية ، وبالرغم من كل السلبيات التي قد تؤخذ على التجربة السورية وأهمها بطء نقل وترجمة العلوم المتجددة وتنمية هذه التجربة واتساعها بسبب قلة الموارد الاقتصادية فإن هذه التجربة أكبر دليل على أن التعليم بالعربية ليس مستحيلاً وليس كارثة كما يصفه البعض وهي تستحق العناية من بقية الدول العربية بدعمها والاستفادة منها .

٤ ـ ٣ تجربة اليابان وأمثالها

نود أن نضرب أمثلة بلغات أقوام آخرين لم تكن لغتهم في يوم من الأيام لغة علم وبحث ولا تملك خصائص اللغة العربية ومقوماتها ومع ذلك أصبحت اليوم من أهم لغات العلم والمعرفة وأضحى الناس يسارعون إلى ترجمة ما يصدر عنها من علم وبحث ومنها اللغات اليابانية والعبرية والصينية والفيتنامية [٦-٩، ١٣].

فالمعروف أن اللغة اليابانية واللغات المشابهة لها لا تنتمي إلى عائلة لغوية كبيرة كما أن الهيكل اللغوي لهذه اللغة يختلف كثيراً عن معظم لغات العالم وكانت اليابان في فترة ماضية من التاريخ تعاني من غربة لغوية مزمنة ، ولكن وضع اليابان اليوم يثير الإعجاب والدهشة فقد إستطاعت تلك اللغة رغم المشاكل الموروثة في أبنائها أن تستوعب التفوق التقني العالمي وتتجاوب مع التطور الاقتصادي والتقني الذي حققته اليابان وتدحض الدعوة الانهزامية التي كانت قائمة فيها بعد الحرب العالمية الثانية بضرورة التخلي عن هذه اللغة وإلقائها في المحيط .

يقول الدكتور أنور عبد المجيد الجبرتي في مجلة اليمامة العدد ٧٩٧ ـ رجب ١٤٠٤هـ (إن الذي يثير الإعجاب..والدهشة ... هو نجاح « العملاق » الياباني في أن يتجاوز الفجوة التكنولوجية ... بينه وبين الدول التي سبقته ... بل ويعكسها ـ أحياناً ـ لصالحه ... رغم تلك الفجوة اللغوية التي تعزله عنها ... فكراً وثقافة ... واتصالاً.)[٦].

ولقد حاولنا بجهود مضنية أن نتعرف على تجربة اليابان في التدريس والتعليم بلغتها ... ولم نتمكن من الغوص في تفاصيلها إلا أن سفارة اليابان بالمملكة وفرت لنا رؤس أقلام عنها يمكن تلخيصها كالتالي [١٣] :

* في بداية نهضتها قبل١٢٠ عاماً قامت اليابان بنقل التقنيات واستيعابها من الدول الأجنبية بواسطة اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات .
* لم تستخدم اليابان قط اللغة الإنجليزية أو غيرها في التدريس في أي مستوى من المستويات أو أي نوعية منه وإنما تستخدم اللغة اليابانية في التدريس بشكل عام .
* لمسايرة التقدم السريع في مجال العلوم والتقنية مع البلاد الأكثر تقدماً مثل أمريكا وألمانيا وغيرها يقوم الباحثون والعلماء اليابانيون بدراسة المواضيع المطلوبة باستخدام اللغة الإنجليزية أو أي لغة أجنبية أخرى ، ويهتمون كثيراً بالتمكن من اللغة الإنجليزية كتابة ومخاطبة .
* إجتهد أوائل العلماء والمهندسين اليابانيين في إيجاد الكلمات والاصطلاحات اليابانية للعلوم الحديثة والتقنية المتقدمة ونجد أن جميع الكتب المستخدمة في التدريس مكتوبة باللغة اليابانية لدعم نظام الدراسة الحديثة .
* التدريس باللغة اليابانية في مختلف أنواع التعليم سهل التفاهم بين الفئات المختلفة في التعليم العالي والمهنيين والفنيين والعمال المهرة وهم ينفذون أعمالاً متعددة الأنظمة والتخصصات والمهارات .
* تقوم وزارة التعليم والتربية باعتماد الكتب والمؤلفات .. وهي المسؤولة أيضاً عن اعتماد المصطلحات لها .
* إذا لم يوجد مصطلح مناسب للكلمة الأجنبية فتؤخذ الكلمة نفسها وتكتب باليابانية ولا تمثل المصطلحات وتوحيدها مشكلة لديهم بل يتركون الأمر للزمن ليبقى المصطلح الأفضل هو الأكثر استعمالاً .
* تقوم اليابان بمساعدة المملكة بتعريب الكتب الخاصة بمعهد الإلكترونيات التقني ، كما أن للمملكة تجربة رائدة يجب أن يستفاد منها في تعريب التعليم الفني بمساعدة جمهورية ألمانيا الاتحادية .

٥ ـ جدوى التعريب

٥ ـ ١ عام

بالإضافة لما سبق بيانه في الفقرة (٢) بالنسبة لأهمية التعريب فقد أشارت دراسة قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم [١٤] إلى أهمية إنشاء مؤسسة تختص بالتعريب والترجمة والتأليف والنشر على مستوى الجامعة العربية ونعتقد أن المنظمة قد نصحت الأمة باختيار هذا الإتجاه لأن ذلك سيؤدي دون شك إلى أن تواجه هذه المشكلة الضخمة وهذه المعضلة الصعبة وهذه القضية الأساسية من الأمة بأسرها وليس من أفراد أو مؤسسات قطرية جزئية وإنما القضية تستأهل أن يجمع لها قدرات العالم العربي بكامله المالية والعلمية واللغوية في مؤسسة تكون قادرة على التخطيط السليم والقيام بشؤون الإدارة والمتابعة والطباعة والنشر والتوزيع والترويج والتمويل..فعلى سبيل المثال إذا كنت ستؤلف مرجعاً لأحد الكتب الجامعية لجامعة واحدة في أحد البلاد العربية فقط فإن تكلفته لا تقارن عندما توزع هذه التكلفة على أكثر من جامعة في البلد الواحد أو على جامعات أكثر من قطر مثل دول الخليج مثلاً .. وقد تتضاءل كثيراً هذه التكلفة عندما توزع على خمسين جامعة في الدول العربية .

٥ ـ ٢ أهداف ومهام مؤسسة التعريب

إتخذ مؤتمر الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي المنعقد في الجزائر في الفترة من ١٤ـ١٩/٥/١٩٨١م قراراً بإعداد دراسة لمشروع إنشاء مركز للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووضع له أهدافاً محددة نعتقد أنها مناسبة لأي مؤسسة قطرية أو إقليمية ستهتم بقضايا التعريب الشمولية ونوردها هنا مجملة كالتالي :

- إجراء مسح شامل لجهود التعريب التي تمت في الأقطار العربية .
- وضع خطة شاملة لمجالات تعريب التعليم العالي لغة ومضموناً ورموزاً ومصطلحات .
- تنفيذ برنامج يغطي الاحتياجات الملحة في تعريب الكتب والمراجع .
- العناية بترجمة الأبحاث العلمية الهامة التي تنشر في أمهات الدوريات العالمية .
- توفير الكتاب باللغة العربية مؤلفاً ومترجماً في شتى فروع المعرفة لأن الكتاب هو وسيلة التعليم والتعلُم الأساسية .
- نقل أفضل الإنتاج الفكري العربي الحديث إلى اللغات الأجنبية .
- الارتقاء بالترجمة والتأليف من حيث الأداء والتعبير والدقة اللغوية والسلامة من الخطأ والوهن .
- القيام بطباعة الكتب المترجمة والمؤلفة ونشرها وتوزيعها .
- العمل على توحيد الكتاب التدريسي ولا سيما الجامعي .
- تحديد الأولويات ... على أن يبدأ بما يخص العلوم والتكنولوجيا .
- إصدار نشرتين شهرية أو فصلية إحداهما باللغة العربية والأخرى بإحدى اللغات الأجنبية تختصان بقضايا التعريب الشاملة .

وتتضمن خطة هذا المشروع تحديد الميزانية اللازمة لتأسيسه وتشغيله وإسهام الدول الأعضاء فيها على أساس أنصبتها في ميزانية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وقد تم تفصيل إجمالي المبالغ كما يلي :

السنة الأولى ٤٠٠,٠٠٠ دولار .

السنة الثانية ٥٠٠,٠٠٠ دولار

السنة الثالثة ٢,٠٠٠,٠٠٠ دولار

وعلى الرغم من أن المشروع لم ير النور حتى اليوم فإن المبالغ التي أُقترحت لكل الأهداف والمهام والنشاطات السابقة زهيدة ولا تقارن بالهدف المنشود ولا بكل ما أنيط بهذه المؤسسة لأنها لا يمكن أن تغطي أي جزء بسيط من نشاطاتها وأهدافها المقترحة ... إن مثل هذه المؤسسة إذا أريد لها النجاح فيجب أن لا تقل ميزانيتها عن ميزانية المؤسسات العربية أو الوطنية التي تهتم بشؤون الرياضة أو الفن بل يجب أن تزيد ، وسنتطرق إلى الحد الأدنى الذي يمكن أن تنجح به مثل هذه المؤسسة عندما نقترح هيكلها الإداري والفني .